العرب
الإثنين 2020/05/18
السنة 42 العدد 11706

فضائيون يقلبون حياة قرية آمنة إلى جحيم

«مفسّرون».. فيلم يمزج الخيال العلمي بالجريمة والرعب

جرائم قتل يلفّها الغموض

طاهر علوان
كاتب عراقي مقيم في لندن

لندن – فكرة تسلل عدد من الفضائيين إلى كوكب الأرض، والعيش بيننا، ثيمة لطالما وجدت لها مكانا أثيرا في سينما الخيال العلمي، وفي فيلم "مفسّرون" للمخرج مايكل رايان، الذي كان مبرمجا للعرض خلال النصف الأول الحالي من هذا العام لولا جائحة كورونا. يسير على المسار نفسه من حيث الفكرة والموضوع. لكنه يقدّم قصة سينمائية مغايرة تمتزج بالرعب والجريمة.

الفضائيون هنا ليسوا مثل "إي تي" المخرج سبيلبيرغ، بل هم أشرار وقتلة ومرتبطون ببرنامج متقدّم يتآمر فيه البشر على البشر في منظومة خاضعة بالكامل للفضائيين. هم في إسرافهم في القتل يختارون ضحاياهم بعناية ويمضون في غاياتهم التي قسم منها اختبارات وتجارب على قدرات البشر.

نحن الآن في قرية اسمها سولين، محدودة السكان، يأتيها ساكن جديد هو مارك فروست (الممثل آس موريرو) ينشد الهدوء بعد تقاعده المبكر من حقل العمليات الخاصة والسرية والقتل المبرمج لحساب جهة ما مخابراتية أو أمنية.

قبل ذلك، سوف نشاهد آخر العمليات التي شارك فيها مارك في وسط أراض قاحلة حيث يكتشف هو وزميل له مقتل جنود في ثكنة عسكرية بطريقة مريبة، ويحاول التوصل إلى نتائج التحقيقات وحيث عمليات القتل تمّت بطريقة غريبة منه صعق العيون وقطع الأصابع وما شابه. لكنه يشعر أن هناك تواطؤا ومؤامرة ما خلف الموضوع، فيستقيل.

تشهد القرية جرائم قتل متتابعة تثير الهلع ويعجز مسؤول الشرطة في القرية بالقدرات والموارد المحدودة التي يمتلكها من الوصول إلى خلفيات تلك الجرائم، فيلجأ إلى مارك طالبا المساعدة.

يتدخّل مارك بالخبرات المهمة التي يمتلكها في التحرّي والعمليات الخاصة ليكشف أن من يقوم باغتيال نساء القرية، هم أشخاص ذوو قدرات خاصة خارقة، ثم تتوالى الحقائق المرعبة في تواطؤ عمدة المدينة وسماسرة في شبكة معقدة يتوغل فيها مارك ولا يستطيع الخروج منها.

ولعلّ معالجة قصة من هذا النوع وتقديمها بأسلوب مشوّق ومؤثّر تحتاج إلى أسلوب يخرج عمّا ألفناه من قصص زيارات الفضائيين أو تسللهم إلى الأرض، ولهذا فقد كان من نقاط ضعف هذا الفيلم هي البداية أو التأسيس المرتبك للأحداث، إذ تلي عملية اغتيال جنود الثكنة العسكرية سلسلة مشاهد غير مشبعة مونتاجيا مع أن المخرج هو في الأصل مونتير محترف.

انتقالات مكانية وبين الشخصيات فيها الكثير من التسرّع والسطحية حتى نصل إلى انطلاق جرائم القتل، وعندها يستقر الإيقاع الفيلمي وننتقل إلى تحريات مارك التي أضافت ثقلا مهما للفيلم.

مارك الذي يعيش وحيدا تم تقديمه خارج الإطار الاجتماعي، فلا تعرف له أسرة ولا انتماء ما، بل إن لديه بحسب مأمور الشرطة ملفا سريا مجهولا، وعندما يطلب منه الكشف عنه يتحدّث عمّا جرى من التنصل عن كشف نتائج التحقيقات في مقتل جنود الثكنة العسكرية.

والأدهى، أن الأمر تعدّى التساؤل عن حقيقة شخصية مارك إلى اتهامه من قبل مأمور الشرطة بأنه هو شخصيا يمكن أن يكون مشتبها به في جرائم القتل المبهمة التي لا تُعرَف أهدافها، فلا هي بدافع السرقة ولا الاغتصاب ولا أي شيء آخر.

> الفضائيون يختارون ضحاياهم بعناية شديدة، وهم ماضون في غاياتهم التي أساسها إجراء اختبارات وتجارب على قدرات البشر

على أن التحوّل الدرامي الذي يصنعه مارك هو وصوله إلى قائمة بأسماء النساء المرشحات للقتل، ومنهنّ زوجة مأمور الشرطة نفسه بعد قتل شقيقتها بنفس الأسلوب. ثم قيامه بعملية جريئة في التسلل إلى إحدى المنشآت السرية، حيث سوف يتوصّل إلى الكثير من الحقائق وحل الألغاز المرتبطة بالفضائيين والتي تنتهي بمواجهة حاسمة معهم في نهاية الفيلم. لكنها مواجهة ذات نهاية مفتوحة.

على صعيد السرد السينمائي، فالملاحظ أن السيناريو بني على أساس إضفاء الكثير من الغموض بالنسبة لمسار الشخصيات، وهو ما لم يخدم الفيلم بحال من الأحوال، فمشكلة المزج ما بين الرعب والجريمة والخيال العلمي يتطلب استثمار أفضل ما في كل نوع من الخصائص السردية على أن تبقى الأهمية للخيال العلمي شكلا ومعالجة وموضوعا.

والملاحظ في هذا الإطار التنوّع الزماني والانتقالات ما بين أزمنة مختلفة. لكن تلك الانتقالات لا تضمن تحوّلات كبيرة كما أن نسيج العلاقة بين الشخصيات كان بحاجة إلى المزيد من التجذير والتعمّق، إذ بدت علاقة الشخصيات ببعضها أكثر هشاشة وسطحية ابتداء من علاقة مأمور الشرطة بزوجته وبشقيقتها، ثم الظهور الغريب والمفاجئ لريسنور (الممثلة إيرين ستكمان) في القسم الأخير من الفيلم لتنظم إلى مارك في التحرّي.

وفي خلال ذلك كله، يحسب لفروست (الممثل آس موريرو) كونه الشخصية الدرامية الأكثر أهمية وتعبيرا عن موضوع الفيلم، وأداؤه كان متميزا عن الجميع منذ المشاهد الأولى ثم انتزاعه دور التحرّي من مأمور الشرطة. لكن في المقابل تخلّى المخرج عن الاقتراب من الشخصيات والكشف عن تفاصيلها في ظل انهماكه بالمشاهد العديدة القائمة على الانتقالات الكثيرة من دون التركيز (الفوكس) على كل شخصية في حدّ ذاتها.

> المخرج مايكل رايان اعتمد في «مفسّرون» انتقالات مكانية وبين الشخصيات فيها الكثير من التسرّع والسطحية مما أخل بإيقاع الفيلم

سبب حقيقي للإحباط

فاروق يوسف
كاتب عراقي

منذ عقود والكوارث تضربنا من كل جهة حتى صرنا مضرب المثل لأمة سيئة الحظ، يضع أبناؤها مواهبهم في خدمة الآخرين فينجحون وحين يضعون تلك المواهب في خدمة بني جنسهم ينتهون إلى الفشل. ولكن ذلك الفشل يتحوّل أحيانا إلى لعنة يحملها المبدع العربي معه أينما ذهب.

ولأن مقياس النجاح نسبي كما أن الحكم عليه ينبغي ألا يقع خارج المنطقة التي يعمل المبدع فيها، لا يمكننا تصديق الكثير من الظواهر التي يتبناها الغرب باعتبارها حقائق تمثل وجودنا المسافر.

ولو اتخذت من الرسم مقياسا يمكنني أن أذكر مئات الرساميين العرب الذين قضوا جل حياتهم في مدن الفن الكبرى. نيويورك، روما، باريس، برلين ومدريد. لم يبرز منهم على المستوى الترويجي في سوق الفن سوى عدد قليل قد لا يتجاوز العشرة تقف اللبنانية إيتيل عدنان والفلسطينية سامية حلبي في مقدمتهم.

فهل ذلك يعني أن الآخرين فشلوا في إقناع الآخرين بمواهبهم الاستثنائية بعد أن صارت الطرق التي تعيدهم إلى أوطانهم الأصلية غير سالكة؟ شخصيا أعرف عشرات الرسامين العرب الذين عاشوا حياتهم كلها متفرّغين للرسم ولم يفعلوا شيئا سواه بعد أن انتقلوا إلى العيش في مدن الفن الكبرى.

وبالرغم من كدحهم الجمالي اليومي، فإن مؤسّسات الفن العالمية وأسواقه لم تنتبه لهم ولم تضع تجاربهم بين قوسي رغبتها في التعرّف على ما هو غريب ومختلف، مثلما تفعل مع تجارب الصينيين والهنود والكوريين والروس ورسامي أميركا اللاتينية وأفريقيا.

فهل يعني ذلك فشلا للرسام العربي المهاجر؟ لا يمكننا هنا أن نغمض أعيننا عن الإحباط الذي يشعر به ذلك الشخص الذي يضع موهبته في خدمة ثقافة ترفضه. غير أن ما ينبغي قوله هنا إن جزءا عظيما من ذلك الفشل إنما يعود إلى غياب الروح الجماعية لدى العرب.

هناك وسط لندن قاعات متخصّصة بالعروض الأفريقية والصينية فيما القاعة العربية الوحيدة لا تلتفت إلى الرسم العربي، إلا في مناسبات متباعدة. ذلك سبب حقيقي للإحباط هو الأقوى من كل الأسباب الأخرى.

«الباعة» مسرحية تعرّي واقع العمال في مجتمع رأسمالي

"الباعة" هي الجزء الأخير من ثلاثية بدأها جويل بوميرا بمسرحية "إلى العالم" وأردفها بمسرحية "بيد واحدة"، وفيها يواصل الكشف عن مفارقات المجتمع في نظرته إلى العمل، في ظل نظام رأسمالي، دون أن تدخل أعماله في ما يعرف بالمسرح السياسيّ.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

باريس – "حين يكون لدينا الظلام والنور في الوقت نفسه، يكون لدينا أيضا ما يتعذّر شرحه. الكلمة المفتاح في مسرحياتي هي ربّما"، ذلك ما قاله بيكيت في حديث عام 1961، وذلك ما يقترحه أيضا جويل بوميرا، على طريقته، من خلال رسم عوالم تحت أضواء غسقية خافتة، فهو يبحث عن الواقع لا عن الحقيقة، كما يقول، واقع ينحته بكل تعقّده، معرّيا صفحته المتآكلة كي ينفذ إلى أعماق الإنسان، حيث تصخب أصداء الضجيج الهادر خارجه، وتتصارع الأشباح والأحلام، ووقائع النهار وأحداثه.

فمسرحه ينهل من ماء الحياة اليومية، ويلتقط الأحجار التي تثقل الحاضر. يتحدث عن العلاقات العائلية، وعراقيل الماضي، والعلاقة بالعمل، ومسؤولية أفعالنا، وعدم اطمئنان الكائن، وعسر الوجود. كل ذلك بكلمات بسيطة تسرد حكايات عادية ومعقّدة.

في هذه المسرحية يواصل جويل بوميرا الحفر في تجاويف عالم الشغل وما يعانيه العامل في بلد جعل المساواة مجرد شعار يعلق على أبواب المؤسسات، فيما الواقع تفاوت اجتماعي مريع، وأوضاع مهنية هشة، صار فيها العامل أشبه بمنديل كلينكس.

وتتحدّث المسرحية عن امرأة عاطلة، يعوزها ما يضمن قوتها ويسدّد مصاريفها، وعن صديقتها التي أنهكتها الآلام، وعن معمل كيميائي أغلق عقب انفجار، وعن الخوف من البطالة، وعن أناس لا يستطيعون تصوّر هويتهم ونشاطهم خارج الهوية التي صنعوها بالعمل.

على الخشبة طاولة وكرسيّان يرجع عهدها إلى خمسينات القرن الماضي، وتلفاز قديم وكونتوار لا لون له، وامرأتان تحت ضوء شحيح. يُسمع صوت خارج المشهد لراوية، سوف تظهر بدورها في المسرحية، تقول "الصوت الذي تسمعونه الآن، هو صوتي.. صوتي أنا التي تشاهدونها هنا، والتي تقف الآن. أنا التي سوف تحدثكم.. كنت صديقة لها.. صديقة هذه المرأة التي ترونها بجانبي".

وتشرع في سرد حكاية صديقتها التي تعاني آلاما في ظهرها بعد سنوات طويلة من العمل في مصنع أورسيلور لتصنيع الأسلحة، تعرّض لانفجار فأغلق أبوابه واستغنى عن عملته، فألفت صديقتها نفسها عاطلة كبقية العمال، الذين فقدوا مع العمل هوياتهم، وموقعهم داخل المجتمع، فالعمل كان بالنسبة إليهم كل شيء. تقول البطلة "هل العمل هو ما يشدّنا إلى الحياة بقوة، ويربط بعضنا ببعض؟".

حول حكاية بسيطة، يتنقل ثمانية ممثلين وممثلات بحثا عن رابط متين، عن إنسانيتهم وهي تتغيّر باستمرار وتتشظّى وتتفتّت، فيغدون مثل أشباح تروي حكاياتها، كشهود عن حاضر مفلس، أو ضمائر مستقبل ملتبس.

فالمسرحية تتألّف من مشاهد قصيرة متتالية يبدو فيها بعض الشخصيات كظلال صينية، يعلقون ببضع كلمات تكاد لا تُسمع على ما تحكيه الراوية بصوت رتيب مرهق عن امرأة ألقت بطفلها من أعلى البلكونة ونجا من الموت بأعجوبة. ولكنها تعيد الكرّة فيلقى الطفل حتفه في المحاولة الثانية. وأمام هذه الحادثة التي بدت كأنها تضحية أمّ فقدت بفقدان الشغل توازنها وعلة وجودها، تتراجع إدارة المصنع عن مشروع الغلق.

هي حكاية متخيلة تقول إن البشر هم باعة حيواتهم، ولكنها تعكس صورة عن عالم العمل، حيث المهمات المتكرّرة حدّ الملل، الشاقة حدّ تقوّس الظهور وتصدّع العظام، المحبطة من جهة اختلال الموازين بين الجهد المبذول والمقابل المادي الهزيل الذي لا يلبّي الاحتياجات ما يولد في نفوس العمال مشاكل نفسية لا تحصى عددا، حتى أن البطلة تزهد في الحياة وترى أن الموتى فقط يحظون بالحياة، أما الأحياء مثلها فلا حياة لهم.

يصوّر بوميرا تلك المعاناة الجسدية، والنفسية أيضا، فمن جرائر التعب الجسدي أن العمال يفقدون ذواتهم في وجه من الوجوه، وينصهرون مع الآلات التي يشغّلونها ليصبحوا هم أيضا آلات تؤدّي حركات معلومة لا تفتأ تتكرّر، ما يفقدهم الإحساس بتفاهة ما يصنعون، وبأنهم إنما يبيعون حياتهم مقابل أجور لا تكفي لتأمين أجساد تكاد تنفصل عنهم.

وبوميرا لا يعطي دروسا، بل يتصوّر وضعيات تكشف عن المفارقات والتناقضات الكامنة في مختلف محطات الحياة، والتمثلات التي نُلبسها رؤيتَنا للأشياء، وتمازج الخيال بالواقع، في الأمس والحاضر. وحديثه عن الموت يعرض كشرط من شروط بقاء الكائن الحي، فلا استرحامَ هنا ولا استدرار شفقة.

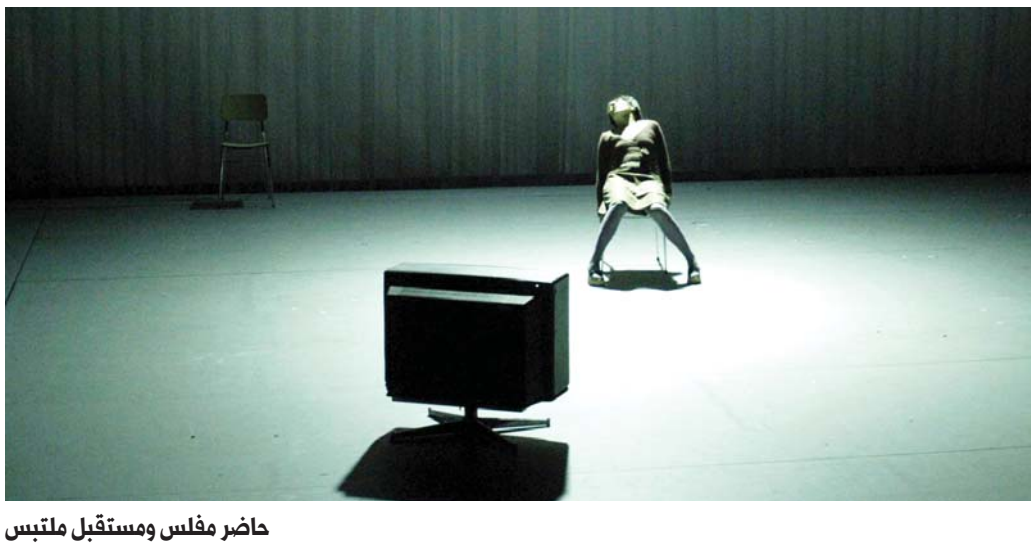

حاضر مفلس ومستقبل ملتبس

> جويل بوميرا يقترح مسرحا يصل العالم المادي بالعالم الذهني، الأحياء بالأموات، والسياسة بالاقتصاد والواقع الاجتماعي

بهذه الثلاثية، يؤكد بوميرا، مؤلفا ومخرجا، انشغاله بواقع مجتمعه، وقضاياه الراهنة كالعمل والسلطة والمال والهيمنة، ويستمدّ من الحكاية سرديتها لينتقد انحراف الرأسمالية بأسلوب فني راق. وقد ساهم الديكور بخطوطه الواضحة وعتمة أضوائه في جعل حضور الممثلين طبيعيا ولاواقعيا في الوقت ذاته، وخلق عالم يجمع بين الغريب والمألوف.

هو مسرح يصل العالم المادي بالعالم الذهني، الأحياء بالأموات، والسياسة بالاقتصاد والواقع الاجتماعي، ويلصق شظايا الوجود الإنساني بعضها ببعض، ليجمّع ما فصّله العقل الغربي التحليلي، ويخلق وحدة على مدار عرض يرى فيها المتفرّج صورة عن مجتمع، يعيش مفارقات ليس أقلها الإحساس بالتهميش والخصاصة في بلد غنيّ.